

شي في السعودية: الاقتصاد يظلّل القـمـمـ الـثـلـاثـ

تستغلّ^١ الصين الفراغ المتّنامي للولايات المتحدة في المنطقة، لتعـبـئـ جـاـنبـاـ منه بـنـفـسـهـاـ، خـصـوصـاـ فيـ الـخـلـيجـ، حيث يـكـبـرـ المـدـعـ فيـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ السـعـودـيـةـ وـالـأـمـيرـكـيـنـ، وـالـذـيـ تـعـزـزـ أـخـيرـاـ عـلـىـ وـقـعـ قـرـارـ «ـأـوـبـكـ+ـ» خـفـفـ إـنـتـاجـ النـفـطـ. وـمـعـ وـصـولـ الرـئـيـسـ الـصـينـيـ، شـيـ جـيـنـ بـيـنـغـ، إـلـىـ الـرـيـاضـ، حيث يـشـارـكـ فيـ ثـلـاثـ قـمـمـ، وـتـتـصـدـرـ مـائـدـةـ مـبـاحـثـاتـ شـتـىـ، سـيـحـضـرـ فـيـ مـقـدـّـهـاـ النـفـطـ، وـزـيـادـةـ التـعـاـونـ الـاـقـتـصـاديـ، لـاـ يـنـتـظـرـ أـنـ تـجـريـ مـنـاقـشـةـ مـسـائـلـ دـفـاعـيـةـ، خـصـوصـاـ أـنـ بـكـيـنـ لـيـسـ فـيـ وـارـدـ تـوـلـيـ زـمـامـ أـيـ دورـ أـمـنـيـ فـيـ مـنـطـقـةـ الـخـلـيجـ، أـوـ طـرـحـ «ـوـكـالـتـهاـ الدـفـاعـيـةـ» كـبـدـيلـ مـنـ تـلـكـ الـأـمـيرـكـيـةـ

وصلـ الرـئـيـسـ الـصـينـيـ، شـيـ جـيـنـ بـيـنـغـ، إـلـىـ الـرـيـاضـ، عـلـىـ وـقـعـ تـنـامـيـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ الـبـلـدـيـنـ، وـفـيـ وـقـتـ بـاتـ فـيـهـ حـلـفـاءـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ التـارـيـخـيـنـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ، عـلـىـ مـسـافـةـ أـكـبـرـ مـنـ الـصـينـ، فـيـ ظـلـ^٢ مـؤـشـراتـ تـرـاجـعـ الـاـهـتـمـامـ الـأـمـيرـكـيـ بـالـشـرـقـ الـأـوـسـطـ، لـمـصـلـحةـ تـرـكـيزـ الـجـهـدـ الـعـسـكـرـيـ وـالـاـقـتـصـاديـ وـالـدـبـلـومـاسـيـ فـيـ اـتـجـاهـ آـسـياـ، وـأـوـرـوـبـاـ. وـعـلـىـ مـائـدـةـ الـمـبـاحـثـاتـ الـمـرـتـقـبـةـ بـيـنـ الـجـانـبـيـنـ، مـلـفـاتـ شـتـىـ، خـصـوصـاـ أـنـ الـزـيـارـةـ سـتـمـتـدـ عـلـىـ ثـلـاثـ أـيـّـامـ، وـسـيـشـارـكـ فـيـهـاـ تـشـيـ، الـمـنـتـشـيـ بـإـعـادـةـ اـنـتـخـابـهـ أـمـيـنـاـ عـامـاـ لـ«ـالـحـزـبـ الشـيـوعـيـ الـصـينـيـ» لـمـدـةـ خـمـسـ سـنـوـاتـ، تـمـهـيدـاـ لـلـتـجـديـدـ لـهـ لـفـتـرـةـ رـئـاسـيـةـ ثـالـثـةـ فـيـ آـذـارـ الـمـقـبـلـ، فـيـ ثـلـاثـ قـمـمـ، سـتـجـمـعـهـ الـأـوـلـىـ إـلـىـ الـمـلـكـ السـعـودـيـ سـلـمـانـ، وـوـليـ^٣ عـهـدـهـ مـحـمـدـ، عـلـىـ أـنـ تـلـيـهـاـ قـمـةـ صـينـيـةـ -ـ خـلـيجـيـةـ يـوـمـ غـدـ الـجـمـعـةـ، وـأـخـرـيـ صـينـيـةـ -ـ عـرـبـيـةـ فـيـ إـطـارـ نـفـسـهـ، بـمـشارـكـةـ قـادـةـ خـلـيجـيـنـ وـعـرـبـ.

وـعـ أـنـ الـزـيـارـةـ فـيـ ذـاـتـهـاـ تـعـكـسـ عـمـقـ الـرـوـابـطـ الـصـينـيـةـ -ـ خـلـيجـيـةـ، الـتـيـ انـحـصـرـتـ، عـلـىـ مـدـىـ عـقـودـ، ضـمـنـ هـاـ مـشـضـيـّـقـ يـمـكـنـ إـدـرـاجـهـ تـحـتـ عـنـوانـ حـاجـةـ الـصـينـ، الـنـاهـضـةـ صـنـاعـيـّـاـ آـنـذاـكـ، إـلـىـ مـصـادـرـ الطـاـقةـ، قـبـلـ أـنـ تـتـطـوـرـ لـتـشـمـلـ مـشـارـبـ خـصـمـةـ فـيـ مـجـالـ الـبـنـىـ التـحـتـيـةـ، وـالـاتـصالـاتـ، وـالـتـعـاـونـ الـعـسـكـرـيـ، إـلـاـ أـنـ الرـئـيـسـ الـزـائـرـ يـضـعـ نـصـبـ عـيـنـيـهـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـأـهـدـافـ: أـوـلـاـ يـحـمـلـ بـعـدـاـ اـقـتـصـاديـاـ خـالـصـاـ شـدـيدـ الـمـلـهـ بـالـاحـتـيـاجـاتـ الـنـفـطـيـةـ لـلـصـينـ، حـيـثـ سـجـّـلـ حـجمـ وـارـدـاتـهـ مـنـ الـنـفـطـ السـعـودـيـ حـوـالـيـ 1.8ـ مـلـيـونـ بـرـمـيلـ يـوـمـيـاـ أـوـاـخـرـ الـعـامـ الـماـضـيـ، إـضـافـةـ إـلـىـ الـمـصـالـحـ الـتـجـارـيـةـ لـبـكـيـنـ، الـشـرـيكـ الـتـجـارـيـ الـأـكـبـرـ لـلـرـيـاضـ، بـقـيـمةـ قـارـبـتـ الـ70ـ مـلـيـارـ دـولـارـ فـيـ عـامـ 2020ـ، وـذـلـكـ فـيـ إـطـارـ سـعـيـ شـيـ إـلـىـ إـنـجـاحـ مـبـادـرـةـ «ـالـحـزـامـ

والطريق». وخلال الأعوام الأخيرة، سَجَّلت الشركات الصينية نجاحاً في تثبيت حضورها في السوق السعودية، وخصوصاً في مجال السيارات، حيث بلغت حوالي 25% من تلك السوق خلال العام الماضي، وفق تقديرات رسمية سعودية. أمّا ثانياً تلك الأهداف فيتعلّق برغبة الرئيس الصيني في توجيهه «رسائل مشفّرة» إلى واشنطن، أولاً من باب توقيت الزيارة التي جاءت على وقع تباين سعودي - أمريكي، عزّره قرار «أوبك+» خفض إنتاج النفط. ووفق مراقبين، يودّ شي أن يُفهم الغرب أن نفوذ بلاده في الشرق الأوسط بشكل عام، وداخل بلدان الخليج بشكل خاص، بات أمراً واقعاً لا مفرّ منه. وفي هذا السياق، يشير الباحث في كلية راجارتانام للدراسات الدولية في سنغافورة، جيمس دورسي، إلى أن الرئيس الصيني «يرغب في انتهاز فرصة الخلاف السعودي - الأميركي عبر فتح حساب مع الولايات المتحدة، يُطلق من خلاله موقف بصورة استعراضية في معرض هذا الخلاف». ويلمّح دورسي إلى أن شي يرمي إلى إثبات حضور بلاده القوي في الخليج، ولا سيما في السعودية، وذلك من خلال «إعادة غرس العلم (الصيني)» هناك.

وعن فرص نمو العلاقات الصينية - السعودية، يتّضح أن البلدين يقفان على أرضية مشتركة حيال عدد من القضايا، ولا سيما أنهما مدرجان في خانة الأنظمة السلطوية، وفق التصنيف الغربي. وفي خضمّ هذه العلاقة التبادلية من «الود» السياسي، يوفّر إحجام الصينيين عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، تحت شعار «حقوق الإنسان»، إمكانية لتجاوزهم عن سجلّ شركاء بكين الدوليّين في هذا المجال، على غرار ما يسجّله الواقع الحقوقي لدول الخليج، والذي تمثّل أخيراً في تقرير «المنظمة الأوروبيّة - السعودية لحقوق الإنسان» الذي أفاد بأن الرياض أصدرت أحكاماً بإعدام 15 معتقل رأي، بينهم 8 فاسدين، على نحو يجعل هذا الإحجام رافعة لعلاقتهم بالسعوديين. وظهرت «العلامة التجارية» الأبرز لهذا الود الصيني، من خلال إطلاقة المسؤولين الصينيين الصمت حيال قضيّة مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي. في المقابل، تتجذّب الرياض تسلّط الضوء، أو توجيه انتقادات من أيّ نوع إزاء ما يُشاع في شأن الممارسات القمعية لبكين بحقّ أقلية الإيغور المسلمة في إقليم شينجيانغ، خلافاً لدول إسلامية أخرى مثل تركيا، وهو أمر تحبّذه القيادة الصينية. ولشرح الأمر، يرى الباحث في جامعة شينجيانغ للدراسات الدولية، ما شياولين، أنه «ليس لدى الصين، باعتبارها شريكاً تجارياً كبيراً (لل سعودية)، أيّ مطالب ذات صلة بمسائل السيادة والأيديولوجيا، والقيم (حول حقوق الإنسان)».

وعن انعكاسات الزيارة على العلاقات السعودية - الأميركيّة، يجزم محلّلون بأن بكين ليست في وارد تولّي زمام أيّ دور أمني في منطقة الخليج، أو طرح «وكالتها الدّفاعية» بدليلاً من تلك الأميركيّة، وخصوصاً أن بكين تتمدّع بعلاقات استراتيجية ممتازة مع إيران، الخصم الإقليمي لل سعودية. من هذا المنطلق، يؤكد الباحث في «معهد هادسن» للبحوث السياسية والاستراتيجية، محمد اليحيى، أن الاعتقاد بأن المملكة في صدد استبدال تحالفها الأمني والعسكري مع الولايات المتحدة بعلاقات أوثق مع الصين،

«هو سيناريو مستبعد، وخيالي» إلى حدّ كبير. وفي هذا الإطار أيضاً، تلقت صحيفة «نيويورك تايمز» إلى أن واقع العلاقات بين بكين والرياض، رهن إرادة الأخيرة، متسائلة: «كيف تتصوّر السعودية وجيرانها، النظام الدولي المُقبل، وموقع الصين فيه؟». وإذا قُول إن الإجابة ستتصبح مع الوقت، فهي تشير إلى أن المسؤولين الأميركيين «سيراقبون عن كثب ما إذا كانت زيارة الرئيس الصيني للرياض ستسفر عن اتفاقيات نوعية في قطاعات حساسة، كالأمن والدفاع أو الطاقة النووية، لتقدير موقفهم منها».